الفنان اللبناني مصطفى حيدر لـ «العالم»:

لايجوز اطلاق تسمية «فن اسلامي» على فنون الزخرفة والتزيين

الفنان مصطفى حيدر يعتبر نفسه من اتباع المدرسة الواقعية. له تحليله الخاص حول مقولات «الفن للفن» و«الفن للمجتمع». وهو يرى ان النتاج الفني ينضج بمعايشة الشارع الشعبي الذي يختزن طاقات ابداعية هائلة وليس في الانطواء في اجواء العزلة. ويعمل بكل جهده ليكون فنه خاليا من شوائب التاثر السريع بالثقافة الوافدة ويسعى الى تحقيق قدر اعلى من الاصالة في لوحاته. مندوب «العالم» التقاه واجرى معه الحوار التالي:

● الفنان مصطفى حيدر مر بمعاناة طويلة في ظل التقسيم العشائري والطائفي للبنان، هل لك ان تحدثنا عن هذه المعاناة؟

ـ لقد عشت مرحلتين من الشعور بالاضطهاد. المرحلة الاولى وهي المستوى الاجتماعي بحيث انني من عائلة آل حيدر. والمعروف ان هذه العائلة هي من العوائل الارستقراطية في منطقة البقاع وبالتالي كان وفق التقاليد يحظر عليّ ان اختلط مع ابناء العوائل الاخرى التي تعتبر دون آل حيدر. وبما اني لم التزم بهذا التقليد او القيد فقد عشت حالة من الشعور بالاضطهاد الصادر عن عائلتي. أضف الى ذلك رفضهم لفكرة الفن أو الرسم بشكل خاص باعتباره فنا حراما ولم يكلفوا انفسهم عناء معرفة الرسم الحرام من الرسم الحلال.

المرحلة الثانية من الشعور بالاضطهاد كانت على المستوى الفني. فالغبن الموجود على كافة المستويات في لبنان بفعل التعصب الطائفي انسحب على المستوى الفني فلم أجد اثناء دراستي او بعدها من يشجعني او يساعدني في الوقت الذي كان زملائي من الطوائف الاخرى يحاطون بكافة اشكال الدعم والمساعدة والاحتضان فتنظم لهم المعارض وتشرى اعمالهم ويرسلون في بعثات الى الخارج.

● اصبح الفن معروفا بتصنيفات مدرسية ثابتة، فالى اية مدرسة فنية تنتمي لوحاتك؟

ـ لا أزال اعتبر نفسي من ابناء المدرسة التعبيرية الواقعية لانها تحمل في طياتها دروب المدارس الفنية كافة وفي نفس الوقت تستطيع ان تخترق نسيج هذه المدارس مع المحافظة على اصالتها.

● هناك جدل قائم منذ عشرات السنين بين الاوساط الفنية حول غاية الفن، فبين قائل ان «الفن للفن» وقائل ان «الفن للمجتمع». فما هو رأيك في ذلك؟

ـ أول ما اطلقت هذه الافكار بعد الثورة البلشفية بهذا التعبير على ان يكون الفنان ملتزما او ان يكون فنه ترفا.

اعتقد ان المسألة تختلف بين المجتمع الاوروبي والمجتمع العربي. ففي المجتمع الاوروبي أرى ان اي انتاج فني لا بد ان يصب في خانة التراث القومي الفني وبالتالي تنتفي صفة الترف عن الفن الاوروبي لان اي فن مهما كان تصنيفه يختزن عملية التواصل مع الثقافة الفنية عبر التاريخ في اوروبا. بينما نجد ان الفن في المجتمع العربي الذي يقتبس عن الفن الغربي يعيش حالة الانقطاع عن جذوره العربية وبالتالي يصب في مصلحة الغرب. والمثل الاكثر وضوحا في هذا المقام هو الفن اللبناني الحديث نتيجة التفاعل الثقافي السلبي بين الحضارة العربية والحضارة الاوروبية الدخيلة على عالمنا العربي والاسلامي.

وفي المقابل نجد ان فن الدول الاقل احتكاكا بالغرب هو اكثر الفنون العربية التصاقا واتصالا بالجذور العربية وذلك نتيجة ضآلة التأثير الثقافي الغربي عليه ومحافظته على اصالته العربية.

والخلاصة ان اي فن متصل بجذوره التاريخية الاصيلة هو فن في خدمة المجتمع وبالتالي يصبح اي فن منقطع عن تلك الجذور في خانة الغرب ولا يتعدى كونه ترفا مرفوضا.

● ما رأيك في الاعمال الفنية الاسلامية الطابع؟

ـ اعتقد انه لا يجوز ان نطلق تسمية فن اسلامي على فنون التزيين الرائجة اليوم تحت عنوان الفن الاسلامي. فهذا الفن يقوم في الوقت الحاضر على السرقة من هنا وهناك لبناء لوحة زخرفية الهدف من ورائها التزيين والمادة. في حين اعتقد ان الفن هو عين الانسان نحو المستقبل واي متذوق يقارن روعة وابعاد الفن الاسلامي القديم والفن المسمى اسلاميا حديثا يلاحظ الفرق الشاسع بين أصالة الاول وغثاثة الثاني.

كما اود ان أشير الى ناحية اخرى ذات اهمية بالغة وهي اني الاحظ ان منظمات غربية واوروبية بشكل خاص تقوم بتنظيم وشراء وترويج اعمال فنية زخرفية تحمل الطابع الاسلامي ولكنها في مضمونها لا تتعدى البناء الزخرفي. والغاية من هذا العمل هي اظهار هشاشة البناء الفكري للفن الاسلامي الحديث وتدمير التاريخ الفني للمسلمين. وبالتالي اظهار العمق الابداعي الفني الغربي اذا ما قورن بأعمال التزيين المسماة اسلامية □

صيدا (لبنان) ـ «العالم»

الفن الاوروبي يؤسس نفسه وتاريخه في مجتمعه والفن العربي المتأثر به يعاني من انقطاع الجذور

محطات في حياة مصطفى حيدر

ـ تخرج من الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة عام ١٩٦٢.
ـ شارك بأول معرض عام ١٩٥٩ بقصر اليونيسكو واستمر بالاشتراك في معارض الربيع والخريف حتى عام ١٩٧٥.
ـ شارك في معارض عالمية مثل معرض بينالي الدولي لدول بحر المتوسط (القاهرة) عام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٥ ـ ١٩٦٨. ومعرض بينالي (البندقية) عام ١٩٦٤ ـ ١٩٧٢.
ـ اقام معرضا متجولا في اميركا عام ١٩٧٢.
ـ اقام ٣٠ معرضا فرديا منذ عام ١٩٥٩.
ـ شارك في ٢٠٠ معرض جماعي منذ عام ١٩٦٣.